نتانياهو.. سوف يتعلم الكثير...!!

بقلم :

أحمد طلعت

أصبح واضحا الآن أن بنيامين نتانياهو - رئيس وزراء اسرائيل الجديد - يفتقد الكثير من الخبرة و التجربة فى مجال العلاقات الدولية، وفوزه فى الانتخابات الاسرائيلية ضد منافسه السياسى المخضرم شيمون بيريز لا يعنى ان نتانياهو يتمتع بخبرة أكبر - أو قبول أكثر - وانما هو يعنى فقط ان شعاراته التى رفعها خلال حملته الانتخابية قد لاقت قبولا «نفسيا» من بعض فئات الشعب الاسرائيلى، وبصرف النظر عن قابلية هذه الشعارات للتنفيذ، أو توافقها مع اعتبارات - وتوازنات - السياسة الدولية.

وقلة الخبرة فى العلاقات الدولية، هى التى جعلت نتانياهو يتناقض مع نفسه - ومع حقائق الأ شياء - فى التصريحات التى أدلى بها خلال حملته الانتخابية، وفى التصريحات القليلة التى أدلى بها بعد تشكيل حكومته، وأخصها تعليقه على البيان الختامى لمؤتمر القمة العربية فى القاهرة.

■ فنتانياهو عندما أعلن خلال حملته الانتخابية رفضه للجلاء عن مرتفعات الجولان، فإنه قد أغلق بهذا التصريح جميع الأبواب أمام مفاوضات سلام جادة مع سوريا، فكيف يمكن أن يتفاوض السوريون مع طرف يعلن - ابتداء - انه لن يتخلى عن أرضهم التى يحتلها بالقوة المسلحة، وما هى الفائدة التى تعود عليهم من مثل هذه المفاوضات مادامت نتيجتها - من وجهة نظر نتانياهو - ان يبقى الأمر على ما هو عليه الآن..؟؟ وماذا تخسر سوريا اذا بقى الوضع على ما هو عليه الآن أكثر مما خسرته..!!

■ ونتانياهو عندما يطالب العرب بمفاوضات سلام بغير شروط مسبقة يتناقض مع نفسه عندما يعلن - قبل بدء هذه المفاوضات - عدم موافقته على رد الأراضى المحتلة، وعدم موافقته على التفاوض حول مصير القدس، وعدم موافقته على وقف بناء المستوطنات فى الأراضى الفلسطينية، وكلها شروط مسبقة يضعها نتانياهو نفسه قبل بدء المفاوضات، ولم يضعها العرب..!؟

■ ونتانياهو عندما يدعى بأن الاحتفاظ بمرتفعات الجولان ضرورى للأمن الاسرائيلى يتناقض مع نفسه - ومع الواقع - ذلك ان احتلال اسرائيل للجنوب اللبنانى لم يضمن الأمن لاسرائيل، ولم يوقف هجمات الكاتيوشا عليها، بل ان هذا الاحتلال ذاته هو السبب - والمبرر - لاستمرار هذه الهجمات وتفاقمها، كما ان الانسحاب الاسرائيلى الكامل من سيناء لم يؤد إلى الإخلال بالأمن الاسرائيلى، بل على العكس فهو قد حقق هذا الأمن، ولم يسمع أحد منذ انسحاب اسرائيل من سيناء عن حادثة اعتداء واحدة على الأمن الاسرائيلى انطلاقا من سيناء..!!

■ ونتانياهو يتناقض مع نفسه - ومع الواقع - عندما يتصور ان الدول تختار حدودها لتحقيق أمنها، فالحدود بين الدول لا تحددها اعتبارات الأمن، وانما تحددها حقائق التاريخ والجغرافيا.. ولو كانت الدول ترسم حدودها وفقا لاعتبارات الأمن، لتغيرت جميع خرائط العالم - فى كل القارات - وسادت الفوضى فى المجتمع الدولى، كما ان تطور الأسلحة والمعدات قد قضى على أية قيمة للحدود «الجغرافية» فى تحقيق الأمن، كما كان الحال فى العصور القديمة، فلم تعد الجبال أو المجارى المائية مثلا حدودا تحقق الأمن مع ظهور الطائرات الحديثة والصواريخ عابرة القارات، وسور الصين العظيم الذى كان يحقق الأمن لحدود الصين فى الزمن القديم لم يعد الآن أكثر من أثر يزوره السائحون، يلتقطون له الصور التذكارية، بينما يعتمد أمن الصين على قوتها الذاتية، ومن داخل حدودها..!!

■ ونتانياهو يناقض نفسه - ويناقض الواقع - عندما يزعم ان شعار الأرض مقابل السلام هو شعار «غير أخلاقى.. لأن السلام قيمة يستفيد منها الجميع وليس شيئا مطروحا للمقايضة».. وهو نص التصريح ا لذى أذيع مؤخرا من تل أبيب..!! فهذا التصريح فيه من المغالطة ولوى الحقائق ما لا يخفى على أى عاقل، فالأرض مقابل السلام ليس معناه أعطنى «أرضا» أعطيك سلاما، وانما معناه اعطنى «أرضى» أعطيك سلاما، والفرق بين المعنيين واضح لا يحتاج الى تفسير، فالعرب يطالبون بأرضهم مقابل السلام، أما السيد نتانياهو فيطالب بأرض العرب مقابل السلام.. فأى الموقفين هو اللاأخلاقى..؟؟

■ ونتانياهو عندما يطالب بعدم قيام دولة للفلسطينيين، انما يناقض نفسه بالنسبة للأساس الذى قامت عليه اسرائيل ذاتها، وهل هو القوة المسلحة والغزو، ام انه الشرعية الدولية ممثلة فى قرار الأمم المتحدة عام ١٩٤٧ بإقامة دولتين فى فلسطين..؟؟ فإذا كان نتانياهو يعتقد أن أساس قيام دولة اسرائيل هو الفتح والغزو فليس من حقه أن يشكو من المطالبين بالقضاء على اسرائيل بالفتح والغزو فمنطقه ومنطقهم واحد.. اما اذا كان يرى ان قيام اسرائيل يعتمد على الشرعية الدولية، فليس من حقه - أو من حق أى طرف آخر - ان يعترض على قيام دولة فلسطينية وفقا لأحكام الشرعية الدولية.. واذا أنكر نتانياهو الأساس «الشرعى» الذى تقوم عليه الدولة الفلسطينية، فإنه يكون قد أنكر فى ذات الوقت الأساس «الشرعى» الذي تقوم عليه دولة اسرائيل..!!

■ وعندما يجتمع نتانياهو - قريبا - مع مسئولين من الولايات المتحدة وأوروبا، وعندما يلتقى بزعماء الدول العربية التى تربطها ببلاده علاقات دبلوماسية، ويستمع اليهم، ويناقشهم، فسوف يعلم ان شعاراته الانتخابية، وتصريحاته الرسمية، غير واقعية - وغير منطقية - وسوف يتعلم الكثير.. وتنتهى «نفخة الاسطبل» التى تسيطر الآن على تصريحات المسئولين فى اسرائيل..!!